

تلخيص

شرح متن

(المنهاج من سير أمت النبوة)

بَابُ فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالتَّمْكِينِ
بَعْدَ الْبَلَاءِ

برنامج
البناء المنهجية
5

تنبيه



المادة المعتمدة في الاختبار:
الشرح المرئي للكتاب
هذا المخلص لا يغني عن مراجعة
الشرح.

بَابُ فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالْتَّمُكِينِ بَعْدِ الْبَلَاءِ

الفوائد:

1- من المهم للإنسان المؤمن السائر في طريق الإصلاح وتبليغ دين الله، ومواجهة أعداء الله، أن يتصور المفاهيم المتعلقة بسنة الله في أوليائه الذين يحملون هذا الدين ويبلغونه.

2- هذا الباب متّصل اتّصالًا وثيقًا بالسنن الإلهية، التي من شأنها الثبات، ومن هذه السنن: أنّ طريق التمكن للمؤمنين الصالحين المصلحين الحاملين هم للدين لا يكون مفروشا بالورود، وإنما يكون طريقًا محفوفًا بالابتلاءات.

3- المؤمن الذي لا يفهم سنن الله تعالى قد يقع في حالة من اليأس أو الفتور أو الانتكاس.

4- من فوائد التطرّق لهذا الباب:

- العلم بالله وذلك من خلال معرفة بعض سننه.
- التزوّد للصبر والتهيؤ للبلاء.
- عدم اليأس والفتور عند رؤية المصاعب والشدائد تحلّ بالمسلمين.
- الاستبشار بالخير بعد البلاء إذا كان مقرونًا بالصبر والتقوى.

الآيات

الآية الأولى: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {حَتَّىٰ إِذَا أُسْتَيْسَسَ
الرُّسُلُ وَظُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا}

الفوائد:

1- هذه الآية مذكورة في سورة يوسف، وقصة يوسف -
عليه السلام - هي من أهم النماذج التي ذكرها الله تعالى
للتمكن بعد الابتلاء.

2- هذه الآية تأسيسية لسنة إلهية، وهي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يبتلي الصالحين العاملين لدينه ابتلاءات شديدة وطويلة،
وعميقة، إلى أن يصلوا إلى مرحلة تقارب اليأس.

الآية الثانية: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن
قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ
يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ}

الفوائد:

1- يُفهم من سياق هذه الآية أن هذا الأمر متكرر، ومتصل
بسُنن الله تعالى؛ لأن في الآية مخاطبة لهذه الأمة
وتبييناً بأن ما سيصيبها من البأساء والضراء والزلزلة قد
أصاب الذين من قبلهم.

2- هذه الآية نزلت في أوائل المرحلة المدنية بعد البلاء
الشديد الذي مرّ به المسلمون في مكة، وفائدة نزول
هذه الآية في أول المرحلة المدنية تثبت المؤمنين عند

ملاقة الأحزاب، قال الله تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ
الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب: 22].

3- هذه الآية فيها إصلاح لخلل تربوي يقع به البعض،
وهو أن سلوك طريق الإصلاح والعمل للدين خالٍ من
الابتلاءات، وهذا وهم.



الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَخْبَرَهُ «أَنَّ هِرْقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ فَرَعَمْتَ أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُورٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ». رواه البخاري: (2804)، ومسلم: (1773).

الفوائد:

1- هذه الكلمة التي علق بها هرقل كلمة عظيمة، فهمها وفقهاها من آثار النبوة التي لديه؛ لأنها متعلقة بسنة إلهية.

الحديث الثاني: : عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى خَضِرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الدَّثْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَيَكُنَّكُمْ تَسْتَغْجِلُونَ». رواه البخاري: (3612).

الفوائد:

1- في هذا الحديث بيان لشدة ما لاقاه النبي ﷺ وأصحابه في مكة.

2- في الحديث بيان لأهمية وضرورة قصص الثابتين من الأنبياء والصالحين في توليد حالة الثبات في أزمة متجددة، قال الله تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [هود: 120].

3- أن المجرمين والظالمين ومحاربي الإصلاح على نفس الطريقة التي هم عليها على مر التاريخ، فحين يرى الإنسان حالة شرسة في محاربة الدين لا ينبغي أن يظن أن هذا يحصل لأول مرة في التاريخ.

4- ما في هذا الحديث من إخبار هو من دلائل النبوة، والعجيب أن ما فيه من إخبار إنما ذكره النبي ﷺ في زمن لا تلوح فيه بوادر النصر.

الحديث الثالث: : عَنْ خَبَّابٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أُيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا»، رواه البخاري: (1276)، ومسلم: (940). وقوله: «يهدبها» أي: يقطفها ويجنيها، ويقصد: ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد الفقر والذلة والفاقة.

الفوائد:

1- في هذا الحديث يبين خباب - رضي الله عنه - تغيير الحال الذي وقع لهم بعد شدة البلاء، فتغير الحال وأينعت الثمرة، وأكلوا منها، وعاشوا لذتها ونعيمها.

الحديث الرابع: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أَنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَارٍ طَبِئِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ؟ - «وَلَيْتُنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بن هُرْمَزٍ؟ قَالَ: «كِسْرَى بن هُرْمَزٍ، وَلَيْتُنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرُجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجَمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ» قَالَ عَدِيُّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيُّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمَزٍ وَلَيْتُنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو الْقَاسِمِ: «يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ» أخرجه البخاري: (3595)، ومسلم: (1016). (الحيرة): بلد في العراق، (الظعينة): المرأة. (دعار): جمع داعر، وهو الشرير، ويُطلق على المفسد والسارق.

1- هذا الحديث يبيّن أن القصة في زمن النبي ﷺ كانت متكاملة، فقد بدأت من الصفر، وترّقت بها الأحوال، وجاءت فيها كل العوامل التي من الممكن أن توقف الرسالة الخاتمة التي بعث الله بها نبيّه ﷺ، ويتقلب المؤمن في هذه القصة حالًا بعد حال، وشدة بعد شدة، حتى تمّ هذا الأمر وأنزل الله تعالى قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3] ثم ما لبث النبي ﷺ أن توفي بعدها.